Coptology

Ϩⲁⲛⲱϣ ⲛ̀ⲣⲉⲙⲛ̀ⲭⲏⲙⲓ

السبت العظيم

دكتور

جورج حبيب بباوي

٢٠١٠

www.coptology.org

السبت العظيم
نزول الرب يسوع إلى الجحيم

حسناً أن تحتل الجمعة العظيمة مكانها في حياة الكنيسة، ولكن ماذا عن السبت العظيم، سبت النور، كما يُسمى بكل صواب؟

جديرٌ بنا أن تكون لنا وقفة تجاه ما وصلنا من كتابات تقوية في مدونات عربية؛ لأن مراجعة ما رسخ لدينا من أصول لا يستند فقط إلى القِدَم، بمعنى أن ما لم يرد في القرن الأول مثلاً يفقد مصداقيته. فهذه إحدى نزعات وتطلعات حركة الإصلاح البروتستانتية. فالعبرة ليست في التاريخ القديم مهما كان زمان القدم، بل العبرة في وضع ما لدينا على أساس رسولي. ولعل الذي تابع رد فعل أخوتنا الإنجيليين حول ظهور العذراء، يجد أن اعتراضهم الأساسي على هذا الظهور – حسب قول أحدهم – إنه "لم يرد في الكتاب المقدس". فقد قطع الكتاب المقدس عن التاريخ الكنسي الذي حُذِفَ تماماً من أجل تأييد رأي شخصي.

ويمكننا أن نصوغ طريقة التفكير السائدة – عند بعض الأساقفة – في صورة المعادلة الآتية:

أنا + فكري الشخصي + ما وصل اليَّ = الأرثوذكسية.

هذا في حد ذاته أقل خطورة من اعتبار أن التكوين الشخصي والفردي هو الأرثوذكسية، وبالتالي محاربة كل من يجاهر بغير رأي الأسقف، وهنا لا يختلف هؤلاء عن بعض قادة الكنيسة الإنجيلية الذين يتلخص موقفهم في المعادلة الآتية:

أنا + الكتاب المقدس = المسيحية برمتها.

وغير ذلك هو خطأ يجب قمعه بكل الوسائل، وبالطبع من ضمن هذه الوسائل، الرجم بسوء استخدام كلمات الكتاب.

مراجعات من الذاكرة ومن سطح الثقافة المسيحية المعاصرة

وصلنا إلى حافة الهاوية، هاوية الجهل، فقد صار كل من هب ودب قادراً على الكتابة، بل وأن يضرب في أي اتجاه شاء. لكن ما يجب أن نشير إليه أيضاً هو أنه منذ عدة سنوات بدأت أكبر حركة لمراجعة ما يطفو على سطح الثقافة المسيحية الشعبية المعاصرة، وهو التراث الذي يعتمد على الذاكرة، وعلى أن ما يسود من أفكار عامة له اليد الطولى باعتباره المرجعية الأولى.

لدينا عدة أنماط ندلل بها على ما ذكرنا:

فهناك من يمسكون بالكتاب المقدس بيد، وباليد الأخرى سكيناً يقطعون بها ما لا يعرفون، وما هو بعيدٌ عن مداركهم، هكذا بلا تاريخ، وبلا دراسة متأنية لكلمات الوحي.

وهناك نمطٌ ثان لأشخاص لا يستخدمون الكتاب المقدس إلاَّ في التحريض على إنكار ما هو ثابت وما امتد في حياة الكنيسة حاملاً معه تراثاً روحياً، كان حظه أنه لم يُشرَح بكفاية، بل ظل بعيداً عن عظات "الشحن العاطفي" التي فقط تلح على دعوة الخطاة إلى التوبة، دون أن تشرح شيئاً ذا قيمة عن التوبة، ونحن نقصد تلك العظات العامة التي صارت هي المرجع الرئيسي لما ساد من ثقافة شعبية تفتقر إلى التاريخ.

ثمةُ نمطٍ ثالثٍ حشدَ أكبر قدر من ثقافة الكراهية التي رَشَحَت من الثقافة المعاصرة التي تدفع الإنسان إلى كراهية الآخر باسم الله، وتدعو إلى "شطب" كل التاريخ بلا فحص، بل وحذف كل ما هو إنساني باسم الله، فالله وحده هو الكائن، أمَّا البشر فلا وجود لهم إلاَّ في جانبٍ مظلمٍ من عقولٍ جففت الكراهيةُ فيها كل احترام للآخر.

هكذا كتب بعضهم – من داخل الكنيسة – يهاجمون "نزول الرب إلى الجحيم"، دون معرفة ودون العودة للتاريخ، فقط استناداً إلى ما هو سائد من ثقافة عامة لا تستند إلاَّ للفكر الشخصي. فقد كتب أحدهم يقول: "إن قداسة البابا شنودة لم يتكلم من قبل عن نزول المسيح إلى الجحيم؛ لأن هذا ليس من إيمان الكنيسة، بدليل أنه لم يرد في قانون الإيمان النيقاوي".

على أن صمت الأنبا شنودة عن هذا الموضوع وعدم تناوله له ليس دليلاً على أي شيء، ولا هو حجة ضد أي عقيدة. كما أن عدم وجود صيغة الاعتراف بنـــزول الرب إلى الجحيم في قانون الإيمان هو أيضاً ليس دليلاً على أي شيء، فقد حشد قانون الإيمان بعض أعمدة الاعتراف، ولكنه ترك حتى اسم الثـــالوث، وعـــدد الأســـفار، والملائكة، و لم يذكر سوى سر المعمودية دون باقي الأسرار، فهل يعني ذلـــك إنكـــار عقيدة الثالوث، أو هل ينـــزع هذا الصمت عن الإفخارستيا أصلها الإلهي أو التسليم الرسولي؟ لا بكل تأكيد.

وإن كنا نلتمس العذر لمن لا يعرف، لكن لا عذر لمن يندفع بكل غرور الجهل ليضرب ذات اليمين وذات اليسار دون ضابط أو رابط.

وعندما ذكرت لمن كتب هذا الكلام ما ورد في القداس الباسيلي، أجاب أن هذا لا يكفي لأنه لم يرد في القداس الغريغوري، ولا القداس الكيرلســـي. وعنـــدما ذكرت له ما ورد في صلوات القسمة، وبالذات قسمة "السبت العظيم"، أو "ســـبت الفرح"، قال إنها دخلت في عصر متأخر. وعندما سألت عن العصر الذي دخلت فيـــه صلاة هذه القسمة مع الاحتفال بدفن الرب وصلوات السبت العظيم، ســـكت هـــذا الأب الفاضل و لم يُبدِ جواباً.

ويمكننا أن نرد هذا التعليم، وطريقة التفكير هذه إلى عدة أصول:

١– كتب وتفاسير الشيع البروتستانتية.

٢– منهج حركة الإصلاح البروتستانتي الذي يدَّعي أن مـــا ورد في العهـــد الجديد، والعصور القديمة قبل ٣٢٥م أي قبل مجمع نيقية هو فقط الجدير بالاعتبار، أما ما ورد بعد ذلك فهو مشكوك في أصالته الرسولية.

وغني عن البيان أن هذا المنهج هو منهج انتقائي، وهذا الانتقاء أو الاختيـــار يُعبَّر عنه بفعل خاص به في اللغة اليونانية، هو الفعل الذي اشتُقت منه كلمة هرطقـــة؛ لأن فعل Hairew هو أصل كلمة Heresy وهي تعني اختيار مـــبني علـــى تفضـــيل شخصي، ومثالها اختيار "أبي أعظم مني"، والهرب من "أنا والآب واحد".

وهنا يقوم الاختيار في منهج الإصلاح البروتستانتي على سبب واحد معروف، وهو أن الإيمان بنزول الرب إلى الجحيم لم يُناقَش حتى بواسطة الهراطقة حتى القرن السادس عشر، عندما أسقطه يوحنا كالفن مؤسس الكنيسة الإنجيلية من عقائد الكنيسة، وهكذا تسلل الشك إلى ضمائر الذين درسوا وعشقوا "سبرجن" الأب الروحي لكثير من الأساقفة والكهنة الأقباط.

٣- الجهل الذي أصبح مرجعاً يعتمد على صمت بعض الوثائق مثل قداسات القديس غريغوريوس، أو القديس كيرلس، أو قانون الإيمان.

برهان الإيمان الرسولي للقديس إيرينيئوس

يكتب القديس إيرينيئوس "برهان التعليم الرسولي Proof of the Apostolic Preaching " حوالي عام ١٧٠م وهو يدافع عن الإيمان الرسولي ضد الغنوسيين الذين أنكروا التجسد وبالتالي الصلب والقيامة، فيقول:

> **"فإذا لم يكن قد وُلِدَ، فهو لم يمت، وإذا لم يكن قد مات، فهو لم يَقُم، وإذا لم يكن قد قام من الأموات فهو لم يهزم الموت، ولم يُبِد مُلك الموت، وإذا لم يكن مُلك الموت قد أُبيد فكيف سوف نصعد نحن إلى الحياة العليا؛ لأننا خضعنا منذ ولادتنا للموت".**

ثم يشرح بعد ذلك الإيمان فيقول:

> **"أما الذين رفضوا فداء البشر، فهؤلاء لا يؤمنون بأن الله سوف يقيم هؤلاء من الموت؛ لأنهم يحتقرون ميلاد الرب بالجسد الذي قَبِله لأجلنا، لأنه صار جسداً لكي يعلن قيامة الجسد ويقود الجميع إلى السماء. وكابنٍ، الوحيد من الآب، الكلمة، فهو كان في العالم يخلق كل شيء ويكمِّل كل شيء ويقود كل شيء بالشريعة وبالمعرفة. وكابنٍ وحيد للعذراء أيضاً هو البار الإنسان القدوس وخادم الله الذي صنع مشيئته ومسرته، فأكمل الأشياء، وحرَّر الذين تبعوه من الجحيم؛ لأنه بكر الراقدين ورأس ومصدر الحياة في الله"** (فقرة ٣٩ – ص ٧٢: ٧٣ –

راجع الترجمة الإنجليزية Ancient Christian Writes, vol 16, trans, by Joseph P. Smith).

وعندما يشرح آلام الرب ومحاكمته أمام بيلاطس ثم هيرودس يقول في الفقرة ٧٨ عن نزول الرب إلى الجحيم:

> **"وسبق أرميا وأخبر بموته ونزوله إلى الجحيم، فقال هذه الكلمات: "والرب قدوس إسرائيل أصعده من الموت بعد أن نام في تراب الأرض ونزل إلى الذين كانوا هناك مبشراً إياهم بالخلاص ومحرراً إياهم"** (أرميا ٣٢: ١٧ الترجمة السبعينية، وورد أيضاً عند الشهيد يوستينوس في الحوار مع تريفو ٧٢: ٤).

ويُعد الحوار مع تريفو عام ١٥٠م وربما قبل ذلك هو أول إشارة إلى نزول الرب إلى الجحيم بعد العهد الجديد.

الأرواح التي في السجن (١ بط ٣: ١٨ – ١٩)

ليس هناك خلاف على تفسير كلمات الرسول قبل حركة الإصلاح البروتستانتية بأن هذه إشارة واضحة لنزول الرب إلى الجحيم سبقتها كلمات الرسول في أعمال ٢٤: ٢٦ – ٢٧. وهي بشارة الإنجيل في يوم العنصرة.

ولكن خلف رفض يوحنا كالفن لهذا التفسير تقبع فكرة واحدة، وهي أن الرب يسوع دفع ثمن الخطايا لله الآب على الصليب، وأنه مات لكي يخلص الذين عيَّنهم الله الآب حسب علمه السابق للخلاص، وبالتالي لا يوجد ما يدعو إلى نزول الرب إلى الجحيم!!!

هل نزل الرب يسوع بنفسه الإنسانية الى الجحيم؟

لقد نشر صديقنا Thomas Buchan رسالته للدكتوراه عن نزول الرب إلى الجحيم في أشعار وكتابات مار افرام السرياني الذي ولد عام ٣٦٠ بعنوان: "مباركٌ

الذي أصعد آدم من الجحيم (شيول *Sheol*)[1]". وقد طلبت من الـذين كتبـوا إليَّ يسألونني عن هذا الموضوع – وهم أكثر من شخص – أن يقرأوا رسالة د. تومـاس السابق الإشارة إليها، ولكن جاء الرد غريباً. فقد قال ثلاثة منهم إن مار أفرام هو من آباء القرن الرابع، وأنه لا يوجد نص صريح في العهدين عن نزول الرب يسـوع إلى الجحيم. وقد تجلت غرابة هذا الرد في أنه كشف القناع عن حقيقة هامة، وهـي أن محاولة تحديد تعليم لاهوتي من خلال استخدام مفردات لغة واحدة مثل اللغة العربيـة، يهدد سلامة التعليم نفسه، فالاسم العبراني – السرياني – الآرامي هو شـيول *Sheol* والإسم الدارج في اللغة العربية هو: الجحيم، بينما الاسم القبطي القديم هـو **ⲁⲙⲉⲛϯ** وأحياناً تترجم *Sheol* شيول إلى الحفرة، وأحياناً تترجم إلى الهاوية حسب الترجمـة العربية لعظة القديس بطرس عن قيامة المسيح يسوع له المجد: "هذا أخـذتموه مُسـلَّماً بمشورة الله .. وقتلتموه، الذي أقامه الله ناقضاً أوجاع الموت إذ لم يكـن ممكنـاً أن (يسود عليه الموت) يُمسك منه. لأن داود يقول عنه: كنت أرى الرب أمـامي كـل حين .. حتى جسدي أيضاً سيسكن على رجاء. لأنك لم تترك نفسي في الهاويـة ولا تدع قدوسك يرى فساداً" (أع ٢: ٢٣ – ٢٧)، ويشرح الرسول بطرس نبـوة داود النبي: "سبق فرأى وتكلم عن قيامة المسيح أنه لم تتـرك نفسـي في الهاويـة ولا رأى جسده فساداً" (أع ٢: ٣١).

والهاوية تُسمى أيضاً "أقسام الأرض السفلى"؛ لأن العهد القديم يمـزج بـين "القبر" و"الهاوية" أو "الجحيم"، حيث يقول الرسول عن الرب: "إذ صعد إلى العـلاء سبى سبياً .. وأما أنه صعد فما هو إلاَّ أنه نزل أيضاً أولاً إلى أقسام الأرض السـفلى" (أفسس ٤: ٨ – ٩). ويقول الرسول بطرس عن الرب، وهو ذاته الذي عرف نبـوة داود: "فإن المسيح تألم مرة واحدة من أجل الخطايا .. لكي يقربنـا إلى الله مماتـاً في الجسد ولكن محيي في الروح الذي فيه أيضاً ذهب فكرز للأرواح التي في السـجن إذ عصت قديماً .." (١بط ٣: ١٨ – ١٩).

([1]) Thomas Buchan, Blessed is He who has brought Adam from Sheol, Gorgias press, 2004.

أقدم تفسير للعهد الجديد:

يُعد شرح أو تفسير انجيل يوحنا للعلامة أوريجينوس هو أقدم ما وصلنا من مدونات القرن الثالث الميلادي، ففي الفقرة التي تخص يوحنا المعمدان بأنه غير مستحق أن يحل سيور حذاء يسوع، يقول أوريجينوس:

"نجد معنىً خفياً لا يجب أن نتركه دون شرح. اعتقد أنه في تجسد ابن الله، عندما أخذ عظاماً ولحماً، فهذا هو حذاءٌ واحد، والنزول إلى الجحيم هو الحذاء الآخر؛ لأنه قيل في مزمور ١٦ "لأنك لم تترك نفسي *Soul* في الهاوية"، وبطرس في رسالته الجامعة يذكر نزول يسوع إلى الجحيم، لذلك مَن يستطيع أن يرى المعنى الخفي، هو من يحل سيور الحذاءين، ويصبح هو نفسه أهلاً لأن يحل سيور الحذائين" (شرح إنجيل يوحنا – الكتاب ٦: ١٧٤ – ١٧٦).

وقبل العلامة أوريجينوس يقول ترتليان في المقالة عن النفس:

"نزل المسيح إلى الجحيم لكي يبشِّر البطاركة والأنبياء برسالة الخلاص" (٥٢: ٢).

وفي شرح رسالة أفسس للعلامة أوريجينوس، وهو ذاته شرح القديس جيروم حسب تحقيق أكثر من باحث لا سيما *Ronald E. Heine* يقول جيروم نقلاً عن أستاذه:

"أقسام الأرض السفلى، هي مكان الموتى الذي نزل إليه ربنا ومخلصنا، لكي – كمنتصر Victor – يقود إلى السماء ويأخذ معه نفوس القديسين المأسورين، لذلك قامت أجساد الأبرار وشوهِدوا في المدينة المقدسة بعد قيامته (متى ٢٧: ٥٢ – ٥٣) وبالإضافة إلى ذلك يشهد المرنم أن مكان الموتى هو "أقسام الأرض السفلى" عندما يقول: "فتحت الأرض وابتلعت داثان وطبقت على جماعة ابيرام (مزمور ١٠٦: ١٧)، ونفس ما ورد في المزمور تجده مفصلاً في سفر العدد (١٦: ٣١ – ٣٥)، ونقرأ أيضاً في فقرة أخرى "ليبغتهم الموت

لينحدروا إلى الهاوية أحياء" (مزمور ٥٥: ١٥)"[1].

لا يوجد في سفر التكوين ما يشرح لنا وجود "شيول"، ولكن سقوط آدم الذي جاء بتحول كبيرٍ في الخليقة وجعل الأرض نفسها عدواً يُنبت "الشوك والحسك"، جعل الموت "لعنةً"، وتحول النظام الكوني من سماءٍ وأرض، إلى سماء وأرض وهاوية، أي الجحيم أو القبر، بل أصبح البحر نفسه الاسم المرادف للهاوية بسبب الموت غرقاً. وعندما ابتلع الحوت "يونان" يقول: "دعوت من ضيقي الرب فأستجابني. صرخت من جوف الهاوية فسمعت صوتي. لأنك طرحتني في العمق في قلب البحار .. ثم أصعدت من الوهدة حياتي .." (يونان ٢: ٢ – ٦).

وفي شرح سفر يونان للقديس كيرلس الإسكندري يقول المعلم الكنسي:

> **"جوف الهاوية تعني بطن وحش البحر، فهو يقارن هذا الحيوان بالهاوية؛ لأن الموت في انتظاري وفي انتظار من يبتلعه ويأكله ذلك الوحش .. وهو (يونان) كنبي، كان يدرك أنه في البحر في الهاوية العظمى .. وأنه وصل إلى الأبواب التي تبقيه أسيراً، أي الجحيم. فهو لا يعني أنه فعلاً في الجحيم لأنه لم يكن قد مات بعد، وإنما لأن الخطر الفظيع وأهوال ما حدث له لم يمنعه من أن يفكر في أنه مات وأنه وصل إلى الجحيم نفسه، الذي مَن يدخله لا يعود يخرج منه؛ لأن من يدخل الجحيم يظل هناك أسيراً. وحسب الكلمات، وهذا ما اعتقده أن عبارة "المغاليق الأبدية" (يونان ٢: ٦) تعني المتاريس أو المغاليق التي لا يقدر أحد أن يكسرها لأنها عديمة الكسر"** (شرح الإصحاح الثاني لنبوة يونان – الترجمة الإنجليزية – آباء الكنيسة – مجلد ١١٦ ص ١٦٤ – ١٦٥).

ونشير أيضاً إلى رسائل عيد القيامة للقديس كيرلس السكندري، والتي نُشرت في سلسلة آباء الكنيسة – مجلد ١١٨ حيث يقول القديس كيرلس في الرسالة الثانية (سنة ٤١٥):

([1]) The Commentaries of Origen and Jerome on St. Paul's Epistle the Ephesians, R.E.Heine, Oxford, 2002, p 173.

"هو الذي أعلن لنا طريق الخلاص. ليس لنا نحن فقط، بل ذهب كمبشِّرٍ (كارز) إلى الذين عصوا من الأرواح في العالم السفلي كما قال بطرس (١ بطرس ٣: ١٩ – ٢٠) لأنه لا يكفي أن يعلن محبته لفئة دون أخرى، بل استعلان العطية يجب أن يشمل كل الطبيعة. لأنه (الرب يسوع) تكلم في الوقت المناسب للأنبياء "أُمطر على ضيعة واحدة والضيعة التي لم أُمطر عليها جفت" (عاموس ٤: ٧)، ولكن المخلص يقول ما يخصه هو، وهو للكل: "تعالوا إلى يا ثقيلي الحمل والمتعبين وأنا أريحكم" (متى ١١: ٢٨)؛ لأنه أعلن رسالته للأرواح في العالم السفلي، وقال للذين كانوا مكبَّلين بالأغلال "اخرجوا"، وللذين في الظلمة قوموا واظهروا (أش ٤٩: ٩ السبعينية). فقد أقام هيكله في ثلاثة أيام، وجدَّد طبيعتنا ورفعها للسماء، وقدَّم ذاته للآب باكورة الإنسانية بعد أن أعطى للذين على الأرض ميراثاً في الروح عربون النعمة (٢ كو ٥: ٥)" (مجلد ١١٨ ص ٦٦ – ٦٧).

ويكرر القديس كيرلس نفس التعليم في الرسالة التاسعة (سنة ٤٢١) اذ يذكر:

"لأنه بالطبيعة الحياة، قام في اليوم الثالث، وزار الجحيم وفتح الأبواب التي لا يمكن فتحها للعالم السفلي، وقال للمأسورين اخرجوا وللذين في الظلمة تعالوا كما قال النبي (أش ٤٩: ٩ السبعينية)، فقد بشَّر بالإيمان للكل حتى للأرواح التي في السجن (١ بطرس ٣: ١٩)". (المرجع السابق ص ١٧٣).

كما يؤكد القديس كيرلس في الرسالة الحادية عشر (سنة ٤٢٣) أن:

"الرب يسوع هو رب الأموات والأحياء كما هو مكتوب (رو ١٤: ١٩)؛ لأنه نزل إلى الجحيم، وكرز للأرواح التي هناك، وفتح المغاليق الأبدية في العالم السفلي، وأفرغ أحشاء الموت، ثم قام في اليوم الثالث" (المرجع السابق ص ٢١٤).

الأرواح التي في السجن:

سُئل القديس أوغسطينوس هذا السؤال: لماذا الأرواح التي عصت قديماً، وأجاب على السؤال في الرسالة (١٦٤):

"السؤال الذي أرسلته إليَّ عن الأرواح التي في السجن هو سؤال يحيرني .. ما يحيرني حقاً هو لماذا هؤلاء المسجونين منذ أيام نوح بالذات ينالون هذه المنحة؟ إذا فكرنا في كل الذين ماتوا منذ نوح حتى الآن والذين عاينهم يسوع في الجحيم. وجوابي على هذا السؤال إن فلك نوح هو مثال الكنيسة وصورة لها، والذين كانوا في السجن في أيام نوح هم مثال لكل الطبيعة الإنسانية، وفي الجحيم وبخ المسيح الأشرار وعزَّى الصالحين ولذلك البعض آمن للخلاص والآخر عصى للهلاك".

من الذين سباهم الرب من الجحيم؟

يظل السؤال معلقاً؛ لأن الإجابة عليه صعبة، فهي إجابة تحاول أن تخترق ما هو أبعد من الإدراك، وما لم يأت به تعليم واضح وصريح وقاطع في العهد الجديد.

عندما بدأ علماء الكنيسة في نشر تفاسير الآباء على العهد الجديد كله في سلسلة عرفت باسم "السلسلة الذهبية"، وهي تتناول شرح كل آيات العهد الجديد من آباء الكنيسة، حقق *J.A Cramer* شرح الرسائل الجامعة، ونشرتها جامعة اوكسفورد في ١٨٤٠م. ثم نشرت السلسلة *CATENA* للعلامة الكبير توما الأكويني على الأناجيل الأربعة في عام ١٨٨٠م. وقد ورد نص هام للعلامة السكندري أمونيوس عميد مدرسة الإسكندرية في القرن الخامس يجيب فيه على سؤال شخص معاصر اسمه قيصر كان مدرساً للمنطق والفلسفة في الإسكندرية:

"سألني المعلم قيصر: هل قطَّع المسيح سلاسل كل المقيدين عندما نزل إلى الجحيم؟ فأجبت وقلت: نعم، قطَّع سلاسل الكل. وسألني: كيف حدث ذلك؟ لم يكن يهوذا الإسخريوطي ضمن هؤلاء المقيدين، فهل أطلق الرب سراحه هو أيضاً؟ فقلت له: نعم؛ لأنه عندما يكون

ملك الكل حاضراً يصبح من المستحيل على الطاغية الذي هو عبده، وأنا أقصد الموت أن يحفظ الأسرى عنده. ماذا فعل الرب؟ لقد مات. وبشَّر بطريق يؤدي إلى الخلاص الأبدي للذين على الأرض، وكذلك للذين في الجحيم لكي يؤمنوا بالآب وبه، أي ذاك الذي صار إنساناً ونزل إلى الجحيم بقوة الروح القدس. والذين آمنوا به أصعدهم معه، أمَّا الذين رفضوا الإيمان، فقد أعادهم إلى ما كانوا فيه سابقاً، فهل بشَّر يهوذا وأعطاه فرصة للتوبة؟ قلت لقيصر: لا أعتقد ذلك؛ لأنه لا يلزم أن يبشَّر ذلك الشخص الذي يعرف الحق، لأن يهوذا عرف سر الخلاص بل وبشَّر به الآخرين – عندما كان تلميذاً – بل اعتُبر مستحقاً أن ينال النعمة الالهية حتى أنه كان يُخرج الشياطين ويشفي المرضى. ولكنه بعد ذلك سقط بحريته، فلا تقاطعني وتقول إنه سقط في الشر ضد إرادته لأنه حتى في زماننا هذا لا يوجد مسيحي يسقط في الشر ضد إرادته. وحتى يهوذا نفسه لم يلقِ اللوم على غيره في تسليم المسيح بل عرف أن هذه هي خطيته" (فقرة ٦٨ في شرح رسالة بطرس الأولى ٣: ١٩).

وفي نفس السلسلة *CATENA* نجد ان ساويروس الأنطاكي حيث يقول:

"إن الغفران لم يعطَ لكل الذين كانوا في الجحيم، بل للذين آمنوا واعترفوا بالمسيح .." (فقرة ٦٧ نفس المرجع السابق).

الخلاص عمل كوني لا يخص وحدة زمانية دون غيرها سابقة أو تالية لتجسد الرب:

في نفس السلسلة الذهبية يجيب القديس كيرلس على اعتراض لا نزال نسمعه: ماذا حدث للذين ماتوا قبل المسيح؟

"هنا في (١بط ٣: ١٩) يجيب بطرس على هذا السؤال الذي يقدِّمه معترضون وهو: إذا كان التجسد للخلاص، فلماذا تأخَّر تجسد المسيح حتى ذلك الوقت؟ بل لماذا ذهب للأرواح التي كانت في السجن

وبشَّرهم أيضاً؟ والرد هو: إن المسيح علَّم الذين كانوا أحياء على الأرض في زمان تجسده، وأولئك الذين آمنوا به عندما ظهر في الأماكن السفلى. لأن هؤلاء استفادوا من مجيئه. لقد ذهب بنفسه الإنسانية لكي يبشِّر الذين كانوا في الجحيم، وظهر لهم كنفسٍ تظهر لنفوس، وعندما شاهده بوابو الجحيم هربوا، والأبواب النحاسية فُتحت والسلاسل الحديدية كُسرت. وصرخ الابن الوحيد بسلطانٍ لكل المفديين من هذه النفوس – حسب كلمات العهد الجديد – وقال للذين في السلاسل "اخرجوا وللذين في الظلمة استنيروا". وبكلمات أخرى، لقد بشَّر الذين في الجحيم لكي يخلِّص كل الذين يؤمنون به؛ لأن الأحياء الذين كانوا على الأرض والأموات الذين كانوا في الجحيم، الكل اخذوا فرصة للإيمان.

والقسم الأكبر من العهد الجديد هو أكبر من الطبيعة ومن الشريعة؛ لأنه رغم أن المسيح بشَّر الأحياء عندما ظهر في الجسد، وأولئك الذين آمنوا به من الأحياء نالوا البركة، كذلك أيضاً استطاع ان يحرر الذين في الجحيم مِن الذين آمنوا به وقبلوه عندما نزل اليهم. أمَّا نفوس الذين مارسوا الوثنية بما فيها من طقوس بشعة، وكذلك الذين فقدوا البصيرة بسبب الإنغماس في الشهوات الجسدية، هؤلاء لم يكن لديهم القدرة على رؤيته ولم ينالوا الحرية" (المرجع السابق فقرة ٦٦).

قانون إيمان الرسل[١] والصلوات الليتورجية:

كانت الكنائس في الغرب قد أخذت عن الكنيسة الأم، كنيسة روما، قانون إيمان الرسل، ورغم كل ما قيل في بعض دوائر المعارف عن أصله وتاريخه إلاَّ أنه يبدو صيغة الإعتراف بالإيمان السابقة على مجمع نيقية ٣٢٥ ومجمع القسطنطينية ٣٨١. هو

(١) يُعد كتاب J.N.D. Kelly استاذنا السابق Early Christian Creeds هو أهم مرجع في قوانين الإيمان.

أقل ما يقال هو اعتراف الكنائس في الغرب بالإيمان. وهو، أي قانون ايمان الرسل لم يكن معروفاً في الشرق، ولكن الاسم "قانون إيمان الرسل" لا يعني أن الرسل هم الذين صاغوه، بل يعني أنه متفق تماماً مع التعليم الرسولي.

وقانون ايمان الرسل هو القانون الوحيد الذي يحتوي نصٌ صريح عن نزول الرب يسوع إلى الجحيم، لكن هذا لا يجب أن يزعج أحداً، فقد ورد نزول الرب إلى الجحيم في قداس باسيليوس القبطي / اليوناني.

"نزل إلى الجحيم من قِبل الصليب" (قداس ق باسيليوس القبطي).

"ولما انحدر بالصليب إلى الجحيم ليتم في ذاته كل شيء، حلَّ أوجاع الموت" (قداس ق باسيليوس اليوناني – خدمة الكهنة – الأسقف يوحنا يازجي – سنة ٢٠٠٠ ص ٢٨٣).

كما ورد في التسبحة السنوية، ويهمنا هذا المقطع الذي ورد في ذكصولوجية عيد القيامة، وسوف نورده مقارنا مع كتابات آباء الكنيسة كالآتي:

ذكصولوجية عيد القيامة	آباء الكنيسة
حينئذ امتلأ فمنا فرحاً. هو أيضاً الذي مضى الأماكن التي أسفل الأرض.	راجع ما أوردناه من اقتباسات من رسائل القديس كيرلس وما أوردناه في هذه الدراسة عن زيارة أو افتقاد العالم السفلي.
بوابو الجحيم، رأوه وخافوا	بوابو الجحيم رأوه وارتعدوا (القديس اثناسيوس ضد الأريوسيين ٣: ٥٤).
وأهلك طلقات الموت، فلم تستطع أن تمسكه. سحق الأبواب النحاس، وكسَّر المتاريس الحديد، وأخرج مختاريه بفرح وتهليل.	أفرغ أحشاء الموت (القديس كيرلس السكندري رسالة ١١). (راجع ما أوردناه عن القديس كيرلس السكندري في هذه الدراسة)

راجع أيضاً صلاة قسمة لابن تقال للقيامة: "أيها المسيح الهنا رئيس كهنة الخيرات العتيدة"، حيث تقول:

"هذا هو الذي نزل إلى الجحيم، وأبطل عز الموت ...

بذوقه الموت عنَّا،

خلَّص الأحياء،

وأعطى النياح للذين ماتوا".

وهي نفس روح التقوى الأرثوذكسية عند أمونيوس السكندري، والقديس كيرلس السكندري ونفس الإيمان ونفس اللاهوت، حيث تكمل:

"ونحن الجلوس في الظلمة زماناً،

أنعم علينا بنور قيامته من قِبل تجسده الطاهر.

فليضيء علينا نور معرفتك الحقيقية؛

لنضيء بشكلك المحي".

فقد أضاء الرب حتى على الذين كانوا في الجحيم لأن المسيح – حسب إبصالية آدم القيامة – هو "**النور غير المفحوص**"، فهو إشراقة الحياة في أرض الموت كما يقول إفرام السرياني.

يجب ان نتعلم من الطقس قبول الألم والموت وانتظار الخلاص، فهذا هو جوهر كل الصلوات والقراءات الخاصة بالسبت العظيم، وهو انتظار الأبرار وليس انتظار المخلص الذي حسب أقدم الأناشيد الكنسية "**نزل إلى الجحيم ببرق لاهوته**"، فهو قد أرعب الهاوية على النحو الذي نسمعه في عظة القديس يوحنا ذهبي الفم التي تُقرأ في الكنائس الأرثوذكسية ليلة عيد القيامة.

وخوف "بوابو الجحيم" – كما تقول ذكصولوجية عيد القيامة – هو صدى لصوت الآباء أثناسيوس الرسولي وكيرلس الكبير، هو إبادة الخوف من الموت، أي ذاك الذي له سلطان الموت أي ابليس حسبما كتب الرسول في (العبرانيين ٢: ١٤ – ١٥)، إذ عتق الرب الجنس البشري من خوف الموت، وجعل الموت عدو الإنسان يفتدى بالصليب لكي يصبح القوة التي تخلع جذر الخطية، ولكن ليس الموت كإنفصال

النفس عن الجسد، بل "موت الصليب" ذلك الذي هتف به رسول المسيح "مع المسيح صُلبت"، فقد جاز الموت كقوة فاعلة تهدم وتخلع الحياة القديمة، ولذلك أكمل صرخة الإنتصار "فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا فيَّ" (غلا ٢: ٢٠). فالمسيح صلب بولس بل "صُلب العالم لبولس"، فقد غاص الصليب في أعماق الرسول، فقال: "الذين هم للمسيح يسوع قد صلبوا الأهواء مع الشهوات" (غلا ٥: ٢٤).

إن ما يغيب عن ثقافتنا المعاصرة هو تلك الأصول أو الجذور التاريخية التي دُوِّنت، وسوف يحين وقت نشر سلسلة شرح الآباء على كل كتب العهد الجديد المعروفة باسم Catena وهي مجموعة يونانية وأخرى لاتينية جمعت مؤلفات الآباء، والأخيرة يعود الفضل فيها للعلامة واللاهوتي الكبير توما الأكويني.

أخيراً:

– إذا كانت بشارة الإنجيل في يوم العنصرة قد تضمنت النزول إلى الهاوية، فما هي حجة الرافضين، لاسيما الذين يصلُّون القداس ويرددون التسبحة؛ لذلك كان من الضروري وضع جذور الإيمان المسلم لنا في صلوات الكنيسة من أجل الآتين بعدنا.

– أقول لمن يحمل في جيبه قائمة اتهامات يوزعها مجاناً على كل من يختلف معه: إذا كانت روح "التشيُّع" ستدخل الكنيسة وتبقى فيها، فإن فقدان المحبة، بل موتها هو أول ضحايا "التشيع".

– فليكن معلوماً عند الجميع أننا لسنا مع هذا ضد هذا أو ذاك ..

– من يعرف الإيمان فليشرح الإيمان، وإلاَّ فالصمت فضيلة؛ لأن الشتائم عجز وفساد ذمة وتصرف لا تعرفه المسيحية.

د. جورج حبيب بباوي